الطبيـــــب النفســـــي إنســـــان؟!!

http://www.arabpsynet.com/Documents/DocJ41SamarraiPsychiatristHuman.pdf

د. صـــــادق الـسامرائـــــي
أمـريـكـــا - الـعـــراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

الطبيب النفسي إنسان يختزن مشاعر وأحاسيس وإنفعالات ذات طاقات نفسية مطلقة , فهو الذي إرتضى أن يكون الوعاء الذي تنسكب فيه آهات مرضاه ومعاناتهم وأفكارهم ورؤاهم , وهو الذي صار يمتلك مهارات الإستبصار الخفية التي تريه ما لايراه غيره من البشر.

وعندما يعبّر عن دوره الإنساني يجد نفسه في مأزق وورطة , يصعب على الآخرين وعيها وإدراك مفرداتها وعناصر صيرورتها , وإنبثاقها وتحررها من قبضة إرادته وقدرات تحكمه بها.

وقد عاصرت عددا من الزملاء والأساتذة في الطب النفسي , ورأيت أن فيهم مَن يكتم ما فيه , ومَن أجده بحاجة إلى أن تستمع لما يبوح به من أشجان , وتباريح وجيشان عواطف ومشاعر وسلاّف أفكار.

وفي مدينة الطب ببغداد كنت ذات يوم مقيما عند خمسة أطباء نفسانيين في وقت واحد , وكنت أعرف مزاجهم وآلياتهم , فتراني أكتشف ما يناسب الواحد منهم ويتفاعل مع ما عنده من الأفكار والتصورات والمتطلبات , وكم وجدتني أمام بوح إنساني أصيل , فكانت فترة ثرية بالممارسة السلوكية اللازمة للمعرفة الإستبطانية , والإدراكية الواعية القادرة على فتح أبواب الدراية المغلقة , وكان من بين الأساتذة الدكتور عبد المناف الجادري , الذي ما أفاض لي بما يخالجه , لكني كنت أشعر بأنه يكتنز هموما إنسانية عميقة.

وهو طبيب نفسي عراقي عصامي شق طريقه بجد وإجتهاد ومثابرة وحنكة وصبر ومكابرة , حتى تمكن من الإرتقاء إلى قيادة الطب النفسي في العراق , وكان الرجل رزينا رصينا دقيقا وجادا في تفاعلاته مع المقيمين والمرضى , ومواقفه واضحة وقاطعة لا تقبل القسمة على إثنين , فهو يتميز بأخلاقية مهنية فائقة.

تعلمت منه الأخلاق الطبية والموضوعية والدقة والحرص , ولا زلت أذكر كلامه في إمتحان البورد العراقي , وكان رئيس اللجنة الإمتحانية , وبعد أن إنهال علي الأساتذة بالأسئلة , جاء دوره فقال للجنة مازحا: "ماذا أسئله إنه يعرف كل شيئ"!!

بعد ذلك لم ألتقيه لأنني غادرت البلاد إلى حيث الغربة والإبتداء في عالمٍ جديد.

وفي عام ألفين وسبعة إلتقينا في عمان – الأردن – فوجدتني مع إنسان يحمل الوطن بروحه وقلبه وضميره , وكانت الدموع تترقرق في عينيه وهو يحدثني عن الوطن , وكيف غادره , والحنين يتدفق من كل خلية في بدنه , حتى ما عدت قادرا أن أعاين في عينيه , لأنه قد ألهب حنيني وأوقد محنتي , فأنا كنت أدور حول الوطن ولا أستطيع الدخول إليه.

وتأملت الطبيب النفسي الذي تقطّعت أوصاله بغتة , وتبعثرت أشلاء روحه في أصقاع المعمورة ,

الطبيب النفسي إنسان يختزن مشاعر وأحاسيس وإنفعالات ذات طاقات نفسية مطلقة , فهو الذي إرتضى أن يكون الوعاء الذي تنسكب فيه آهات مرضاه ومعاناتهم وأفكارهم ورؤاهم

تأملت الطبيب النفسي الذي تقطّعت أوصاله بغتة , وتبعثرت أشلاء روحه في أصقاع المعمورة , فليس من السهل أن يغادر الإنسان بيته وعائلته , ووطنه الذي أمضى أكثر من نصف قرن فيه

لكن هذا الرجل فاجأني ذات يوم عندما قال لي: "إنّ فيما تكتبه ذاك الوجيع"؟!

فليس من السهل أن يغادر الإنسان بيته وعائلته , ووطنه الذي أمضى أكثر من نصف قرن فيه , فأسس مجده وتأريخه ومستقبله وآثاره وترك بصماته على الأجيال.

وجدت إنسانا يبثني عشقه الوطني ولو اعجه وحسراته , وحسبتني أتحسس دموع روحه ونزيف جروحه الدافقة.

فتجمعت صورة الوطن فيه وإنبثقت مشاعري المعتقة في قوارير الإغتراب , حيث أحاول أن أبعدها لكنها تلسع قلبي وتلدغ أعماقي , فأنزف ألمي كلمات على سطور صماء , يقرؤها مَن يقرؤها ولا يدري بأي مداد قد كتبت , لكن هذا الرجل فاجأني ذات يوم عندما قال لي: "إنّ فيما تكتبه ذاك الوجيع"؟!!

تحيرت من كلامه وغرقت في دهشة وأفياض تأملات أرجعتني إلى حيث كنت مقيما معه!!

ومرّت السنوات , وفي المؤتمر السابع والستين بعد المئة للجمعية الأمريكية للطب النفسي , وفي أول يوم , وأنا أتجول في معارض الكتب , وجدتني أمامه أو وجدني أمامه , وبلا إتفاق , وربّ صدفة خير من ألف ميعاد , فتعانقنا وتبادلنا الكلمات ومضينا معا في أروقة المؤتمر , وفار تنور الذكريات وإنسكبت الكلمات , ورأيته لايزال بركان أشواق للوطن الذي يحمله في قلبه ولا ينساه.

تحدثنا وهو يحبس أنفاس مشاعره ويكظم عواطفه , التي تأبى أن تطاوعه فتتبجس في قسمات وجهه وحدقات عيونه , المترعة بالحزن لفراق وطن يعشقه ويتوطن روحه وفلذات أعماقه ودنياه , وكأنه يحمله بجوارحه ونبضاته ولا يمكنه أن يتخيل الحياة بلا عراق!!

ومن المصادفات أن إلتقيت بأستاذي الأمريكي في الطب النفسي (رئيس قسم الطب النفسي الذي كنت مقيما فيه) , وكان أستاذي وصديقي , ووجدتني بين الأستاذين , وعرّفتهما على بعضهما , وراح أستاذي الأمريكي يتحدث عمّا أنجزناه سوية من نشاطات وكتابات , فوجدت الأستاذ عبد المناف الجادري يشعر بالفخر والإعتزاز , وهو يضيف "وهو كذلك عندما كان مقيما عندنا".

وافترقنا ولا أدري كيف توادعنا , لكننا مضينا كل في طريق والأمل يحدونا بأننا سنلتقي , وما أعطاني رقم هاتفه وتعذر بأسباب وأسباب وحسبته يتقصد في ذلك , وإن بعض الظن إثم.

وبعد يومين وأنا جالس وسط حشد يزيد عن الألفين من الحاضرين للإستماع لمحاضرة , جلس بجواري شخص فنظرته منبهرا وأنا أقول: "ما هذه القوة المغناطيسية التي جعلتك تختار هذا الكرسي بجواري" , تفاجأ بي وتفاجأت به!!

ورحت أبحث عن سبب هذا الإنجذاب؟!

وبعد برهة سألته هل تعجبه المحاضرة , لأنها مملة وتتحدث عن المثلية الجنسية , فاتفقنا على المغادرة.

وجلسنا في إحدى باحات المؤتمر , وإنطلقت الذكريات وتنوع الحديث , ووجدته يحدثني عما أكتبه وعن الأستاذ الرخاوي بتقدير وإكبار وإمتنان , ووصف لي زيارته لمصر وحفاوته به , وضيافته العربية الأصيلة التي لا يزال طعمها في نفسه وذاكرته , وقال لي: "لا بد أن تزور الأستاذ الرخاوي , فإنكما تتوافقان في الرؤى والتصورات , وكأنك الذي يفهمه" !!

وحسبت أن الأستاذ الرخاوي قد بعثه إليّ , ليوقد في نفسي ضرورة اللقاء به , ولأول مرة وجدت الأمر جادا وقررت وذات نفسي أن أزور الأستاذ الرخاوي!!

وجدته يحدثني عما أكتبه وعن الأستاذ الرخاوي بتقدير وإكبار وإمتنان , ووصف لي زيارته لمصر وحفاوته به , وضيافته العربية الأصيلة

قال لي: "لا بد أن تزور الأستاذ الرخاوي , فإنكما تتوافقان في الرؤى والتصورات , وكأنك الذي يفهمه" !!

حسبت أن الأستاذ الرخاوي قد بعثه إليّ , ليوقد في نفسي ضرورة اللقاء به , ولأول مرة وجدت الأمر جادا وقررت وذات نفسي أن أزور الأستاذ الرخاوي!!

أحسبني أصبحت ملزما بأن أحزم أمتعتي لزيارة صومعة هو الذي يرى , لكي أستزيد من فيض الإمعان والتجلي والتسامي والإشراق!!

حضر الأستاذ الرخاوي بيننا

فإذا تحققت هذه الزيارة فالفضل يعود للدكتور عبد المناف الجادري , فهذا ما إقترحه وشجعني عليه , وأحسبني أصبحت ملزما بأن أحزم أمتعتي لزيارة صومعة هو الذي يرى , لكي أستزيد من فيض الإمعان والتجلي والتسامي والإشراق!!

حضر الأستاذ الرخاوي بيننا وصار مرشدنا وملهمنا , وكان لا بد له من الحضور , فالأرواح تتناجى والمدارك تتنادى , والنفوس تتواشج في لحظات حَرّ الجوى!!

كيف إجتمع الأستاذ الرخاوي بنا أو كيف جمعنا؟!

أترك الجواب للأستاذ الرخاوي!!

أمضينا يوم المؤتمر سوية وجلسنا في باحة المركز المزدحمة بالزملاء والزميلات , ويبدو أننا كنا في غاية الإندماج لدرجة أننا إنقطعنا عمّا حولنا , فقد واجهني أحد الزملاء المعروفين معاتبا بعد إنتهاء المؤتمر بأيام وهو يقول : مَن هذا الطبيب الذي كنت متفاعلا معه لهذا الحد , لدرجة أنك لم ترد على تحيتي وكأنك لا تراني , وعندما جئت لمجالستكما لم أجدكما؟

قلت له: هذا أستاذي أيام كنت مقيما في الطب النفسي في العراق.

قال مازحا: لك الحق أنت معذور!

فالدكتور عبد المناف الجادري , عَلَمٌ عراقي بارز في الطب النفسي , ويستحق أن نعترف بدوره وإسهاماته وجهوده الخالصة لتطوير العلوم النفسية في البلاد , وبإنتقاله إلى عمان خسرت كلية طب بغداد أستاذا حصيفا بارعا ومربيا أخلاقيا صادقا , لكن الأردن قد وفرت له فرصة التفاعل العلمي الإبداعي الأصيل , فخسر العراق وما خسر العرب دور العقل العراقي في صناعة الحاضر , ووضع الأسس الراسخة لمستقبل علمي واعد.

الدكتور عبد المناف الجادري , عَلَمٌ عراقي بارز في الطب النفسي , ويستحق أن نعترف بدوره وإسهاماته وجهوده الخالصة لتطوير العلوم النفسية في البلاد

وأثناء محادثتنا وجدته مهتما بما أكتبه ويفهمه بدقة ويدرك مقاصده ومنابعه , وقال لي : كنت أعرف أن لديك قابلية متميزة للكتابة , عندما كتبت ذلك البحث , وقد ذكّرني ببحث كتبته عندما كنت مقيما بالطب النفسي بعنوان (التسول في العراق) , وهو دراسة ميدانية وفرتها الظروف حيث قامت وزارة الداخلية بإلقاء القبض على المتسولين وإيداعهم في مستشفى الشماعية (الرشاد) فوجدتها فرصة لدراسة ظاهرة التسول , لكن البحث كاد أن يدخلني في متاهات , لأن المفروض أن البلاد خالية من المتسولين آنذاك , ولهذا قامت وزارة الداخلية بما قامت به.

والحقيقة الخافية عن زملائي وزميلاتي إلا بعضهم , بأني أكتب منذ أن كنت طالبا في الكلية الطبية وقبلها , وقد نشرت المقالات العلمية في مجلة جامعة الموصل , وبعدها في العديد من الصحف المحلية والعربية , وكتبت القصة القصيرة والقصيرة جدا والمقطوعات النثرية التي تصف الطبيعة , وفي الكلية الطبية بدأت بكتابة الرواية , وأنجزت عددا منها بعد التخرج شاركت في مسابقات الرواية العراقية , وتعذر طبعها ونشرها رغم محاولاتي , لأن الأجواء حينها تريد أدب الحرب وإدامة زخمها (كتابات تعبوية لا إنسانية), وقد نصحني الأستاذ (جبرا إبراهيم جبرا) , بكلمات كتبها على غلاف إحدى الروايات: "تمتلك طاقات إبداعية متميزة تفيدك مستقبلا"!!

نصحني الأستاذ (جبرا إبراهيم جبرا) , بكلمات كتبها على غلاف إحدى الروايات: "تمتلك طاقات إبداعية متميزة تفيدك مستقبلا"!!

أدركت المعنى والمَقصد , فآويت إلى محراب صمتي!!

وصار مرشدنا وملهمنا , وكان لا بد له من الحضور , فالأرواح تتناجى والمدارك تتنادى , والنفوس تتواشج في لحظات حَرّ الجوى!!

أدركت المعنى والمَقصد , فآويت إلى محراب صمتي!!

وفي عالم الطب فأن الوقت لا يكون ملكك , ولا يمكنك أن تتواصل في عمل أدبي طويل لأنه يحتاج لوقت , ولهذا تعلمت الكتابة السريعة المركزة والمقالة القصيرة جدا أو العمود الصحفي الذي

يلاقي رواجا وإستحسانا ويجتذب قراءً.

أما الرواية فأنها إنتقلت إلى العمود الشعري , والقصة القصيرة إلى القصائد القصيرة جدا , أو مقطوعات قصائد التفعيلة.

رأيت من الأمانة أن أذكر ذلك , لأن ما دار بيني وبين الأستاذ عبد المناف الجادري ألزمني بالبوح , فلا أرغب الحديث عن نفسي وأتجنب الحوارات الصحفية برغم تكرار طلبها.

قال : وداعا!!

أ تعرفون كيف قالها؟

يدانا متصافحتان , وأنا أودعه بطريقتنا العراقية , لا قِبَل له أن يواجهك بنظراته , ويشيح الطرف عنك , لأنه لا يريد أن يريك إغروراق عيونه , لكنك تحس في قسمات وجهه ذلك الحزن العميق والألم العظيم , الذي يتلجلج في دنياه وهو يحمل الوطن بروحه وقلبه الذي ينبض عراق عراق!!

ودّعته ومضيت متثاقل الخطوات , مأخوذا بسيل الأفكار وأعاصير الذكريات , وحسبت ما دار بيننا يصلح موضوعا لرواية بعنوان "الطبيب النفسي إنسان"!!

لكنك تحس في قسمات وجهه ذلك الحزن العميق والألم العظيم , الذي يتلجلج في دنياه وهو يحمل الوطن بروحه وقلبه الذي ينبض عراق عراق!!

***** *****

تم تمديد آخر اجل لقبول الاعمال المرشحة للجائزة الى 2014/07/30

أقر المجلس التنفيذي للاتحاد المجتمع مؤخرا بعمان،
أن تحمل جائزة الأطباء النفسيين الشبان العرب اسم شخصية طبنفسية عربية مميزة
أثرت الاختصاص وقدمت الكثير للطب النفسي العربي، و
استقر الرأي أن تحمل جائزة سنة 2014 اسم الطبيب النفسي الفلسطيني / العراقي الكبير

" الدكتور علـــــــــي كمـــــــــال "

الذي عمل بصمت بعيدا عن الاضواء و قدم الكثير من الاعمال القيمة و المؤلفات الراسخة
كما رحل بصمت دون ان يعرفه الا قلة قليلة من الاطباء النفسيين العرب .

**** ****

جائـــــزة " علـــــي كمـــال " للبحـــــث العلمـــــي للأطبـــــاء النفسييـــــن الشبـــــان العـــــرب2014

دعـــــــــــوة للترشـــــــــح

http://www.arabpsynet.com/Associations/AFP/AFP-YoungPrize.pdf

تم تمديد أخير آخر أجل لتقديم الاعمال المرشحة الي 2014/07/30

https://www.facebook.com/notes/arabpsynet-mails/646875952062182